المغترب والمستثمر عيد الشدراوي:

المغترب لم ينسَ بلده لكن الدولة نسيته

كتبت رمزة عساف

هو ليس مجرّد مغترب ونقطة على السطر.. يمكن القول إنه "مغترب فوق العادة" والمثال للمغترب اللبناني الأصيل. فالمولود في القارة السوداء، رسم بالأبيض أمله بوطنٍ يفخر بالإنتماء إلى جذوره. سكن لبنان في باله وضميره، وعلى أكتافه حمل رسالة نشر التراث الحضاري والثقافي اللبناني في العالم وهموم الانتشار اللبناني.

من خلال "الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم" التي يرأسها حالياً، أراد عيد الشدراوي أن يخدم لبنانه والجاليات، علماً أنه لا يعتبر المسألة خدمة بل واجباً. حقّان للمغترب حمل لواء الدفاع عنهما: الجنسية والانتخاب. ولكنهما معلّقان على حبال الإهمال والاعتبارات السياسية والطائفية التي تنخر في الجسم اللبناني فيدفع ثمنها الاغتراب اللبناني. ولهذا السبب يرفض الشدراوي مقولة إن المغترب اللبناني نسي بلده، "بل هي الدولة اللبنانية التي نسيت، مع الأسف، أبناءها المغتربين".

"الاقتصاد والأعمال اللبنانية" زارت الشدراوي .. معه جالت على أفكاره وتطلّعاته واستمعت الى مشوار حياته لتعود بقصة نجاح، قصة إبن بلدة "حدث الجبّة" الذي يشبه بطباعه تلك البقعة من لبنان.

في غانا حيث وُلد والده **سليمان**، أبصر **عيد الشدراوي** النور في العام 1941. وفي ذلك البلد الأفريقي وُلد أيضاً أبناؤه الثلاثة وأحفاده. لكن ذلك لم يجعل عائلة **الشدراوي** تذوب في المجتمع الأفريقي، ولم يمنع من أن يسري حب الوطن الأم في عروقها. ويروي **الشدراوي**: "لم ننسَ يوماً لبنان بل حافظنا على هويتنا وتعلّقنا به أكثر فأكثر بجذورنا، والفضل في ذلك يعود إلى تربية الأهل الذين زرعوا فينا حب الوطن وثقافة الانتماء إليه وعرّفونا إلى عاداته وأرغمونا على التحدث باللغة العربية".

ترحال بين لبنان وأفريقيا

كان عمره عشرة أعوام عندما رأى **عيد الشدراوي** لبنان للمرة الأولى بعد أن قرر والداه إرساله مع أخته ليعيشا مع جدّيهما في حدث الجبّة، فدرس **عيد** في كلية طرابلس ثم في مدرسة الطليان. لم يكن العيش بعيداً عن الوالدين سهلاً في البداية ويتذكّر **الشدراوي** كيف أنه حاول ذات يوم إقناع شقيقته بالهرب: "كنا نعتقد أن أفريقيا تقع وراء ذلك الجبل".

الابتعاد عن الأهل لم يدم. ففي العام 1957 وبعد نحو ست سنوات غادر **الشدراوي** لبنان إلى انكلترا ومنها إلى أفريقيا. وتأخّر مشواره الثاني إلى لبنان حتى العام 1969 ثم قرّر في العام 1971 أن ينقل عائلته للعيش في لبنان ولكن الحرب التي وقعت بعد أربع سنوات كانت لهم بالمرصاد وأجبرتهم على الرحيل.

كرّر **الشدراوي** المحاولة في العام 1982 عندما اعتقد، مثل الكثيرين، أن الحرب ستتوقف. فاشترى منزلاً في لبنان، لكنه سرعان ما اكتشف أن حساباته كانت خاطئة، وهكذا اضطر مجدداً إلى المغادرة ونقل أولاده إلى الولايات المتحدة لاستكمال دروسهم، لكنهم لم ينقطعوا عن بلدهم الذي كانوا يزورونه في كل فرصة سانحة ويقول: "أنا فخور بأولادي الذين يشعرون بأن لبنان مرجعهم بدليل أنهم أسسوا فيه أشغالاً، إضافةً إلى أشغالهم في أفريقيا".

لبنان الحلم

لم ييأس **الشدراوي** من الأمل والثقة بلبنان حتى في عزّ المحنة، بدليل أنه في العام 1984، أنشأ معمل FAP لإنتاج الإسفنج والفرش. ويؤكد في هذا

المجال أنه رفض إشراك أولاده معه في أعماله لرغبته بأن يثبتوا أنفسهم بأعمالهم الخاصة. "أنا اليوم مطمئن ولا أخاف على أشغالي متى قررت التقاعد، لأن لي ملء الثقة بأبنائي الثلاثة الذين سيكملون المهمة على أفضل ما يرام".

عيد الشدراوي الذي عاش في أفريقيا كانت لندن بالنسبة إليه كل الدنيا والمتنفس والحياة. إلا أنها لم تعد تعني له شيئاً بعد أن تعرّف إلى لبنان الذي يراه أجمل بلد في العالم ... بل أكثر من ذلك، صار لبنان حلمه.

من حرقة قلب تمنى **الشدراوي** لو يُصار، وعلى غرار "وقف إطلاق النار"، إلى "وقف إطلاق الكلام المشحون والتحريضي والطائفي عبر وسائل الإعلام. ليتهم يعطوننا مهلة ثلاث سنوات فقط من الهدوء حتى يجرّب اللبناني العيش بسلام نسي طعمه، وبعدها يختار إذا كان يريد الاستمرار بالحياة الهادئة أم العودة إلى التوتر والحروب".

و..إلى الجامعة الثقافية

يدرك **الشدراوي** جيداً قيمة لبنان، ولو لم يُولد فيه. ويرى من واجباته مساعدته. ولأنه ذاق طعم الاغتراب ومشاكله، وضع نصب عينيه هدف الاهتمام بشؤون الانتشار اللبناني من خلال انتسابه إلى الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم التي صار رئيسها في العام 2009، والتي تساهم في تعزيز التواصل بين لبنان المقيم ولبنان المغترب.

"لأنني أعمل ضمن الجامعة بجدية وحماس، أشعر بأنني إبن 20 سنة". هذا ما يعترف به **الشدراوي** الذي لم تقل سنواته السبعون من حيويته ويضيف: "بما أن مهمتي تتطلب التواصل المستمر مع الجاليات اللبنانية في الخارج، كان من الضروري أن أزور العديد من البلدان، وفي كل مرة كنت أكتشف أن ليس صحيحاً ما يُقال عن أن المغترب نسي لبنان، بل هي الدولة اللبنانية التي نسيت الاغتراب اللبناني وأهملته، وأنا كمغترب لم أشعر يوماً بوجودها".

هو المستثمر في أفريقيا يؤكد أن المغترب اللبناني هو الذي يحرّك الاقتصاد هناك، وهو الذي باستطاعته أن يشلّ الحركة إذا شاء، لأن المتاجر والصناعات والفنادق والمطاعم كلها بيد اللبنانيين. ويحزّ في نفس رئيس الجامعة الثقافية أن "تكون لنا كل هذه القوة في الاغتراب فيما تبدو الدولة اللبنانية ضعيفة وعاجزة عن حماية أبنائها".

حقوق معلّقة

الانتشار اللبناني كان يمكن أن يشكّل رأس مال ضخماً للبنان لو أحسنت الدولة استثماره، يقول **الشدراوي** ويؤكد أنهم في الجامعة يقومون بالدور الذي يجب أن تلعبه السلطات اللبنانية ولاسيما وزارة المغتربين لناحية زيارة أبناء الجالية وحثّهم على حماية حقوقهم عبر تسجيل أوراقهم في السفارات والقنصليات، ما دفعه يوماً إلى رفع الصوت والسقف قائلاً: "وكأن هناك بعضاً من داخل مؤسسات الدولة يريد ضرب الاغتراب اللبناني".

ويوضح أن سبب موقفه هذا يعود إلى تقاعس المعنيين عن تسهيل الإجراءات التي تتيح للمغتربين ممارسة حقهم الانتخابي. "فالمغترب الذي يرسل الأموال إلى ذويه في لبنان يحق له إرسال صوته في الانتخابات". ويكشف **الشدراوي** أن العديد من السفارات لا تضم إلا موظفين اثنين أو ثلاثة فقط كما هو الأمر مثلاً في الأرجنتين التي يتواجد فيها مليونان من أصل لبناني، بينهم 250 ألفاً يحملون الجنسية اللبنانية وأوراقهم جاهزة".

ولكن السماح للمغتربين بالمشاركة في العملية الانتخابية يتطلب، إضافةً إلى الجهد والمال، قراراً سياسياً، أليس كذلك؟ يجيب **الشدراوي** بأنه "لو توافرت النية الصادقة والإرادة، كان بالإمكان بلوغ الهدف". أما بالنسبة إلى المال فكشف "أن الاتحاد الأوروبي كان على استعداد لتمويل عملية اقتراع المغتربين، كما أن رجل الأعمال اللبناني **كارلوس سليم** أبدى استعداده لذلك شرط أن يكون العمل جدّياً".

بشدة يرفض **الشدراوي** "المعزوفة" التي تقول بأن مشاركة المغتربين بالانتخابات يمكن أن تغيّر وجه لبنان الديموغرافي. ويقول: "هذا الكلام هرطقة لأننا كلبنانيين اتفقنا على المناصفة بصرف النظر عن الأعداد والأرقام".

الجنسية لمن يستحقها

وإلى حق الانتخاب مطلب ثان يرفعه **الشدراوي** مع الجامعة اللبنانية الثقافية، وهو حق المغترب (الذي يثبت أنه لبناني) في الحصول على الجنسية اللبنانية من دون منّة من أحد. وبمرارة يسأل: "هل من العدل أن يحرموا شخصاً يجري في عروقه الدم اللبناني من الجنسية في وقت يمنحونها إلى آخر لا علاقة له لا من قريب ولا من بعيد بلبنان؟"

وما يؤلم **الشدراوي** أكثر، هو انسحاب الفراغ في لبنان على واقع السفارات. وتتزاحم على لسانه الأسئلة الغاضبة: "هل يُعقل أن يكون مركز السفير شاغراً اليوم في 24 دولة بانتظار التعيينات المتأخرة؟ ومن بين هذه الدول البرازيل التي تضم 8 ملايين من المتحدرين من أصل لبناني؟ وهل من الجائز السماح بهذا الفراغ في ظل ما يتخبّط به العالم العربي من مشاكل وأزمات"؟

مثال المغترب و.. تمثاله

ليس سراً أن الجامعة اللبنانية الثقافية مقسومة في لبنان، كما ليس سراً أن التجاذب الحاصل في الداخل انعكس على الاغتراب. لكن **الشدراوي** لا يعتبر أن هناك جامعة ثانية ويؤكد أنهم هم الشرعيون ولديهم 340 فرعاً في العالم ونشاطات في الخارج ومتواجدون في كل دول الانتشار من

المطلوب «وقف إطلاق الكلام المشحون لمدة ثلاث سنوات فقط»

أنشأ مصنعين لإنتاج الإسفنج والفرش يضمان 350 موظفاً وعاملاً

الرئيس والجامعة

الرئيس عيد الشدراوي الذي انتخب في العام 2009 تنتهي ولايته في تشرين الثاني 2011 وسيسلم الأمانة إلى خلفه. ولكن ألا يعتقد أن السنتين فترة قصيرة لرئيس يملك مشروعاً؟ ؟ يردّ: "صحيح أن سنتين في الرئاسة ليست بفترة طويلة لكنها في الحقيقة متعبة وشاقة لأن الرئيس سيكون حاملاً هموم لبنان الانتشار واللبناني الذي يتخطى الـ 14 مليوناً في العالم".

وفي لمحة سريعة عن النظام الداخلي يؤكد الشدراوي أن الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم هي مؤسسة إغترابية مستقلة، غير حكومية، غير سياسية وغير دينية تُعنى بشؤون الانتشار اللبناني في العالم وتدافع عنه كما تُعنى بالقضايا الوطنية العليا للوطن الأم لبنان. تأسست في العام 1959 في المكسيك وتهتم بلمّ شمل اللبنانيين والتواصل بينهم وبين المتحدرين من أصل لبناني. نشاطاتها متعددة وتشمل كل قارات العالم لرفع إسم لبنان عالياً.

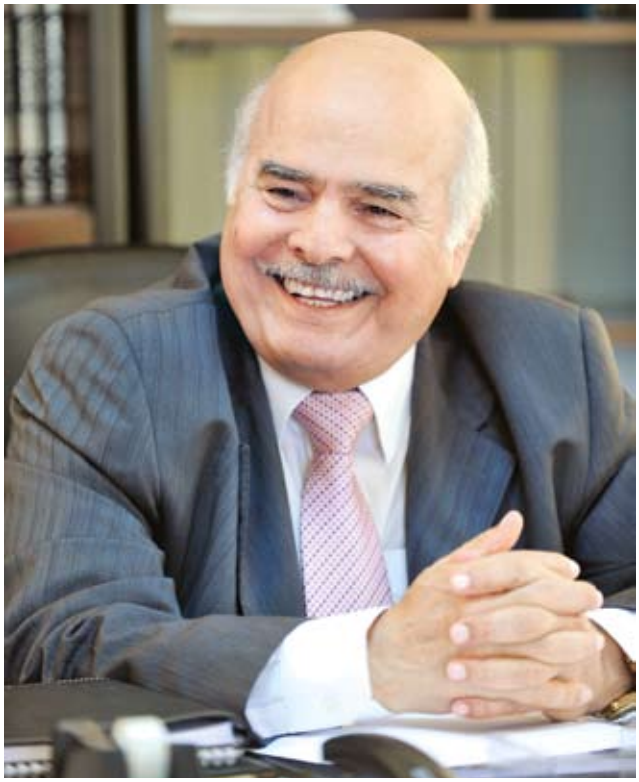

FAP و..المفهوم الجديد للنوم

عيد الشدراوي مؤمن بلبنان حتى العظم.. ففي عزّ الحرب، وبينما كانت الرساميل تهرب من البلد، قرر إنشاء معمل FAP لإنتاج الإسفنج والفرش، ومعه تعرّف لبنان إلى نوعية الإنتاج العالمية. وإضافة الى لبنان أنشأ معملاً لـ FAP في السعودية. أما في أفريقيا فأسس الشدراوي معملين في نيجيريا وبوركينا فاسو تحت اسم LATEX FOAM .

يسرّه أن يكون مساهماً في بناء صناعة يفخر بها لبنان ويعتبر "أن FAP غيّرت مفهوم النوم في لبنان. مهم جداً أن نكون أقنعنا المواطن بأن الفرشة ليست فرشة إذا لم يشعر عليها بالراحة". يؤكد أنهم كانوا أول من استقدم تقنية "الروسور" الذي يعمل تلقائياً داخل الفرشة، وأول من عرّف السوق اللبنانية على نوعية الإسفنج التي يستخدمها رواد الفضاء والتي تأخذ شكل الجسم لتؤمن الراحة للإنسان. ويقول: "باختصار جعلنا الزبون يثق بفرشته، وFAP الحاصلة على شهادة الـ ISO نالت شهادتها الكبرى من زبائنها الذين يثقون بنوعية إنتاجها".

صحيح أن المصنع في حصرايل، لكن الوكلاء كثر ومنتشرون في مختلف المناطق بالإضافة الى 14 صالة عرض. وبسرور يتحدث الشدراوي عن المصنع الثاني لشركة FAP والذي أنشأه في ضيعته حدث الجبة، الأمر الذي خلق فرص عمل جديدة لأهالي المنطقة. ويؤكد أن المعمل المذكور ينتج بمواصفات تضاهي المواصفات الأوروبية. أما بالنسبة إلى عدد الموظفين بين المصنعين وصالات العرض فيصل الى نحو 330 موظفاً.

وإلى عالم الإسفنج أضاف الشدراوي استثماراً جديداً من خلال إنشاء مصنع لأدوات التنظيف والمساحيق المنزلية يحمل إسم CLEANZI .

- مشاركة المغترب في العملية الإنتخابية يحتاج إلى قرار سياسي
- الاتحاد الأوروبي تعهد تمويل اقتراع المغتربين شرط أن يكون العمل جدياً
- ندائي إلى وزارة الخارجية والمغتربين أن تكون على مسافة واحدة من الجميع

المكسيك إلى البرازيل، من كندا وأستراليا الى أوروبا وأفريقيا وأميركا.. كما أنهم ممثلون في الأمم المتحدة عبر مراقبين يحضرون الاجتماعات المتعلقة بلبنان. ويقول: "نأسف أن تكون الأمم المتحدة تعترف بنا كمنظمة غير حكومية ووزارتنا لا تعترف بنا". لا يحب أن يتوقف كثيراً عند هذا الموضوع باعتبار أن ثمة أموراً أهم بكثير، لكنه يعترف بأن التواصل مقطوع مع وزارة الخارجية والمغتربين : "يضعون علينا الفيتو مع أننا نعمل بكل إخلاص ووطنية، والوزارة ذاتها تدرك أن ما نقوم به من نشاطات ثقافية أو لجهة التواصل مع الجاليات أهم أحياناً مما تقوم به السفارات. لقد زرعنا تمثال المغترب اللبناني في العديد من الدول وآخر تمثال كان في غانا وهو الأول في تلك القارة السوداء. والمؤسف أن الاحتفال الجميل الذي ترك صدى ايجابياً لدى الجميع وضمّ الوزراء والسفراء غابت عنه السفارة اللبنانية رغم دعوتنا لها، والأمر نفسه تكرّر في فنزويلا التي منحتنا أجمل قطعة أرض في كاراكاس لنبني عليها مكتبة جبران خليل جبران.. إنه حقاً أمر مخجل".

هذه قناعاتي وهذا ندائي

لا يتردد **الشدراوي** في قول ما يقتنع به: "من الضروري تكثيف الزيارات الرسمية إلى دول الانتشار، وعلى وزارة المغتربين أن يكون لديها برنامج عمل وأن تكون على مسافة واحدة من الجميع بعيداً عن السياسة والطائفية"، والمطلوب منها برأيه تشجيع المغترب على زيارة لبنان كل سنة أو سنتين الأمر الذي يعزز الصناعة السياحية في هذا البلد، وأيضاً تشجيعه على الاستثمار في هذا البلد شرط تأمين الظروف الملائمة والقوانين المشجّعة. "فالمستثمر يهمه أمران: الاستقرار السياسي والاقتصادي والمالي إضافة إلى وجود قضاء نزيه يطمئنه إلى أن حقه سيكون محفوظاً في حال أي نزاع أو مشكلة".

الشدراوي الذي لا يخفي عشقه لوطن الجذور يقول: "علينا أن ندرك جميعاً قيمة ما وهبنا الله من جمال في هذا البلد المميز بطبيعته الساحرة وبإنسانه المبدع". وبغصّة يتحدث عن هجرة الأدمغة اللبنانية والنزف البشري في أوساط الشباب المتعلم والمثقف، "فليس مقبولاً أن نربي أولادنا ونكبّرهم ونضحي ليحصلوا على أعلى الشهادات، ثم يخطفهم منا الخارج ليستفيد من إبداعاتهم وخبراتهم".

وإذا كان من رسالة أو كلمة يوجهها الى من يهمه الأمر، يسارع **الشدراوي** الى إطلاق نداء صادق من القلب: "إن قلبنا مفتوح ويدينا ممدودتان للحوار من أجل مصلحة المغترب اللبناني. فالوطن لنا جميعاً وولاؤنا له فقط، تعالوا نفكر كيف نبني الدولة القوية ونستفيد من طاقات الانتشار اللبناني الذي لمع في كل الميادين. فلا نريد لبنان المدمّر والمنقسم ولا لبنان المصالح والزواريب، بل ننشد لبنان المنفتح والواحد لجميع أبنائه، ونحن جيوش هذا اللبنان في الاغتراب".